الثورة الخميس 1 محرم 1433هـ 15 نوفمبر 2012م العدد (17529)

أمين عام اليونسكو بصنعاء الدكتور أحمد المعمري لـ(الثورة) :

مدينة زبيد مهددة بالشطب من التراث العالمي وصنعاء القديمة في قائمة الخطر

▫ اليونسكو أعطت مهلاً كثيرة لليمن.. والحكومات المتعاقبة تمطر كلاما

▫ محبو المدن التاريخية يعشقون صنعاء القديمة واليمنيون لا يعون أهميتها

أكد الدكتور أحمد المعمري الامين العام للمنظمة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم أن التوجيهات والتصريحات تصدر من الحكومات اليمنية المتعاقبة في ما يتعلق بمدينتي زبيد وصنعاء القديمة وضرورة الحفاظ عليهما كلهم يؤكدون أنهم مهتمون كذلك المنظمة الوطنية تؤكد اهتمامها بالمدن التاريخية اليمنية بشكل عام ولكن المحصلة النهائية أن كل ذلك يظل كلاما فقط وأن الجميع غير جادين فيما يتعلق بهذه المدن العظيمة.

الدكتور المعمري أوضح في هذا اللقاء لـ(الثورة السياحي) العديد من القضايا والمشاكل التي تعانيها تلك المدن التاريخية لاسيما المسجلة ضمن قائمة التراث العالمي اليونسكو وأبرز الحاجيات الملحة لها وكيف يتم التعامل معها والواقع الذي تعيشه فإلى التفاصيل :

لقاء/عبدالباسط النوعة

نوجه الشكر لأبناء شبام حضرموت لتعاونهم للحفاظ على مدينتهم الفاتنة

يوضح الدكتور المعمري أن القضية أو المشكلة تكمن في أن نظرة القاعدة والقمة والمقصود (الدولة والمجتمع) للتاريخ والمدن بأنها عبارة عن مبانٍ إذا تهدمت يمكن بناؤها بأسلوب حديث يكون أفضل من القديم غير واعين ولا مدركين ان المبنى القديم أو الآثار ليست حجرا أو طوبا ولكنها ذاكرة مجتمعية لشعب تتحدث عن تاريخه وحضارته وعراقته وهذه المعرفة تقود إلى رؤية مستقبلية تدل على أن هذا الشعب له ماض من الفنون والعلوم وغيرها وهذه الآثار أو المدن هي اللغة التي تنقل هذه المكانة ولكن وللأسف الشديد تظل زبيد التاريخية جرحاً دامياً في صدر كل يمني، فما تتعرض له من تخريب وعبث لمعالمها والإهمال الذي تواجه به من قبل أجهزة الدولة ومؤسساتها أمر مخزٍ وها هي صنعاء القديمة توشك على اللحاق بها فهذه المدن التاريخية لا يكفيها الكلام والتظاهر بالاهتمام خاصة أننا على بعد اسابيع فقط تفصلنا عن قرار اليونسكو بإخراج زبيد من قائمة التراث العالمي ودخول صنعاء القديمة في قائمة الخطر ولعل زبيد ستحصل على إنذار نهائي مع أن اليونسكو حريصة على هذه المدينة والدليل على ذلك المهل الكثيرة التي أعطيت لليمن على مدى عشر سنوات.

وإذا لم تعمل الحكومة اليمنية فعليا وليس بالقول على الحفاظ على هذه المدن والقيام بما يضمن حمايتها فهذا يجعل اليمن في موقف محرج أمام العالم وأمام منظمة اليونسكو وبالتالي قد يكون من المستحيل تسجيل مواقع أخرى يمنية، فهناك مدن تاريخية كثيرة تستحق أن تكون ضمن قائمة التراث العالمي ولكن في ظل الوضع الحرج الذي تعيشه زبيد ووضع صنعاء القديمة المتدهور تضيع الفرص بانضمام مدن يمنية جديدة.

وفدان من اليونسكو للتقييم

وأضاف: في الجانب الآخر لدينا موقعان ضمن قائمة التراث الطبيعي العالمي في اليونسكو وهما أرخبيل سقطرى ومحمية برع باعتبارهما محميتين طبيعيتين وأثرية وبالنسبة لسقطرى التي يسميها الأجانب احدى مميزات الكون سوف يصل فريق من اليونسكو إلى الأرخبيل للمعاينة والتقييم خلال الأيام القليلة المقبلة هذا الفريق سيمكث عشرة أيام يعمل خلالها على معرفة احتياجات سقطرى ووضعها الحالي وهل هي على مايرام أم تحسنت أو استاء وضعها وكيف يمكن التدخل فيها وبالنسبة لمحمية برع فقد كنا في زيارة لها منذ أسابيع مضت وكانت في حالة مؤلة، الاوساخ تنتشر هنا وهناك والطريق إليها مخربة لم يتم إصلاحها بعد السيول التي خلفتها أمطار الصيف حتى الأشجار التي تعتبر المقوم الاساسي للمحمية في حالة سيئة.

اليمن من أهم الحضارات الكونية

مشيرا إلى ان فريقا آخر من اليونسكو من قسم ما يسمى آثار البحرين سوف يصل إلى زبيد خلال الايام المقبلة، هذا الفريق سوف يعمل تقييم أو تقريراً نهائياً، أما أن تظل المدينة أو تشطب نهائيا من قائمة التراث العالمي.

وحول آخر المراسلات التي وردت إلى المنظمة الوطنية من اليونسكو فيما يتعلق بمدينتي زبيد وصنعاء القديمة يقول الدكتور المعمري : في اخر خطاب لليونسكو تحدثت عن مخاوفها مما يحدث لصنعاء القديمة وانها من الممكن جدا ان تتلقى إنذاراً وتهديدا بوضعها في قائمة الخطر كما هي عليه زبيد الآن اما زبيد فقد كانت الرسائل تتحدث قبل عشر سنوات عن مدينة زبيد بكاملها ضمن القائمة وبعدها بسبع سنوات اصبحت تتحدث عن جزء من زبيد أو اماكن محددة وها هي الآن تتحدث عن معالم تاريخية من المدينة ضمن قائمة التراث العالمي ينبغي الحفاظ عليها، واذا استمر العبث فحتماً سيتم الشطب لاننا الآن امام خيارين إما العمل والاصلاح واما الشطب ولا خيار ثالث وكذلك صنعاء قد يكون مصيرها مشابهاً لزبيد مع انها لا زالت قائمة كمدينة تاريخية ولكن استمرار العبث والاهمال قد يوصلها إلى اماكن ضمن القائمة ومعالم وبالتالي الشطب وبرغم كل ذلك نقول ان الاصل لايزال موجودا لمدينة زبيد وكذا صنعاء واذا لم يكن هناك امل فإن الالم سوف يفتك بنا برغم اننا وصلنا إلى مرحلة سيطر عليها اليأس واصبحنا فيها نخشى ليس على زبيد وصنعاء القديمة فحسب بل وعلى كل ما يمت إلى الماضي بصلة في هذا البلد الذي يعاني فيه المجتمع وكذا الدولة من عدم احترام لذواتهم وتراثهم الذي خلفه اجدادهم مع ان اليمن هذا البلد العظيم يعتبر واحدا من اهم مناطق الحضارات الكونية الانسانية وهذا من اثبتته الدراسات الانثروبولوجية والدراسات التاريخية والمؤرخون للحضارات الانسانية الذين يهتمون بمناطق التراث الانساني حول العالم وهم من اعتبروا اليمن من اغنى مواطن التراث والتاريخ الحضاري بل منشأ للحضارات الانسانية، فماذا عملنا نحن للحفاظ على هذه المكانة حتى مدينة صنعاء القديمة جاء الاهتمام بها والحفاظ عليها من الخارج ودخلت في قائمة التراث العالمي عبر احد الباحثين الذين عشقوا هذه المدينة وعند دخولها اعتبرت من افضل المحميات الآثارية في الكون.

صنعاء القديمة

وأورد الدكتور المعمري قصة لأحد عشاق مدينة صنعاء القديمة من الباحثين الاجانب، هذا الباحث قام بإنتاج فيلم وثائقي عن صنعاء القديمة وفيلم آخر عن مدينة روما وعرض الفيلمين على مجموعة من الباحثين والمهتمين الاوروبيين بالتراث ولم يكشف عن ماهية او اسم مدينة صنعاء وعندما انتهى العرض تساءل الحاضرون بلهفة وإعجاب عن هذه المدينة التي احتواها الفيلم الوثائقي وكانوا على دراية كاملة بان الفيلم الاخر لمدينة روما وقبل ان يجيبهم عن تساؤلاتهم حول هذه المدينة الفاتنة الغامضة قال لهم : أيهما افضل جمالا وفنا وحضارة وكان الاجماع على أنها المدينة الغامضة كانت فاتنة جدا فأخبرهم انها مدينة صنعاء القديمة تقع في منطقة الشرق العربي وتحديدا في اليمن، وقد اسموها جميعا مدينة الروح وهذا الباحث على تواصل مع صنعاء القديمة يزورها باستمرار وقبل اشهر قليلة كان في صنعاء والتقاه الدكتور المعمري وعندما بدأ الحديث عن صنعاء القديمة اظهر الباحث الاجنبي الذي لم يتذكر المعمري اسمه انه حزين جدا على الحالة السيئة التي وصلت اليها المدينة.

وتحدث ان آخر خطابات اليونسكو تحدثت عن صنعاء القديمة بتخوف وترقب من كل ما يحدث فيها وانها اي صنعاء القديمة مهددة وقد يتم توجيه إنذار قوي لليمن كما اسلفنا سابقا وهذه الرسالة التي وجهت قبل اسابيع قليلة تنم عن قلق شديد لدى اليونسكو على مدينة صنعاء القديمة وحرص عليها ولهذا المدينة تحت المراقبة حاليا لدى اليونسكو وقد التقينا بصحبة المختصين في وزارة الثقافة هيئة المدن التاريخية وهيئة الآثار بالاخ امين العاصمة خاصة فيما يخص الإشكاليات التي تحدث بين هيئة المدن التاريخية والمجلس المحلي بصنعاء القديمة وكذا الناس الذين يحاولون العبث بوعي أو بدون وعي، بقصد أو بدون قصد في هذه المدينة التاريخية وكان لأمين العاصمة وجهة نظر فحواها أن يكون لمدينة صنعاء القديمة قانون خاص لها ينفصل عن باقي المدن التاريخية بحيث يكون المجلس المحلي مسئولاً عن الحفاظ على هذه البقعة التاريخية الجميلة إلا أن هيئة الحفاظ على المدن التاريخية اعتبرت المقترح ستكون له آثاره السلبية على المدينة فإخراجها من المدن التاريخية وفصلها عن بقية المدن التاريخية سيكون ذا تداعيات سلبية على المدينة..

وقال: أمين العاصمة جيد ويعمل بكل تفانٍ لكن يبدو انه رجل عصري أكثر من تاريخي بمعنًى أنه يهتم بالحالة المعاصرة أكثر من اهتمامه بالحالة التاريخية ولعل الاهتمام الرسمي شيء هام جداً للتراث والتاريخ فالجانب الرسمي الممثل بالدولة والتجاوب الشعبي شيئان ينبغي إيجادهما للحفاظ على تاريخنا، وإلا سيأتي يوم لا تراث في اليمن ولا تاريخ..

زبيد

ويضيف : رغم هذه النداءات العالمية من اليونسكو حول زبيد إلا أن العبث لا يزال مستمراً بل ويتزايد دوماً فمثلاً في شهر رمضان فقط وصل عدد المواقع المستحدثة إلى أكثر من ٣٠ موقعاً عبارة عن مبانٍ أسمنتية تحيط بالمباني التاريخية، حتى الصندوق الاجتماعي للتنمية الذي خصص مئات الملايين من أجل الرصف يواجه الكثير من الصعوبات والعوائق، استحداثات يقوم بها الأهالي في الطرقات والشوارع المراد رصفها من أجل المطالبة بتعويضات الأمر الذي يؤدي مراراً إلى توقيف الرصف فالناس لا يدركون ولا يعون ما يمتلكونه من تراث بل أن الكثير منهم يقولون لا نريد تراثاً ولا نريد أن تظل زبيد ضمن قائمة التراث العالمي أخرجوها، وهم بذلك لا يدركون أن مدينتهم وشهرتها مستمدة من كونها مدينة إسلامية تاريخية وفي حالة فقدانها لهذا المعنى التاريخي تصبح مدينة عادية ثانوية وبالتالي لم يعد فيها أي شيء يستحق الذكر أو الإشارة إليه بعدها سيقول هؤلاء الناس كان في زبيد أربطة للعلم، طيب أين هي هذه الأربطة، فيها مساجد قديمة جداً ماذا عملنا للحفاظ عليها، فمسجد زبيد الكبير أسقفه تنهار رغم أنه تعرض للترميم وأنفقت عليه مليارات الريالات على مدى عقدين من الزمن ولكن الكل يدرك مالذي يجري في المقاولات والمناقصات وما ينتج عنها من اختلالات فنية فهذا المسجد القديم لم يرمم بشكل جيد ويحكى أنه تم أخذ السواري من داخله ولم يتم إعادتها وهذا ما سبب الانهيار في السطح ولا زلنا نتخوف من حدوث المزيد من الانهيارات في هذا الجامع والمقاول حر طليق لم يتم محاسبته على ما اقترفت يداه ومحاسبة من تستروا عليه؟؟!!

لافتاً إلى أن اليونسكو حريصة على بقاء المدينة ضمن قائمة التراث لكن عدم الاهتمام من قبل الحكومة اليمنية يحرج هذه المنظمة العالمية وحتى خطابات اليونسكو دائماً ما تركز على أشياء منها (نحن معكم لكنكم لستم مع أنفسكم) (أنتم تزرعون القبح بأيديكم) وغيرها وفعلاً نحن لا نحترم ذواتنا ولا نريد الحفاظ على تراثنا وذاكرتنا المجتمعية بل نمارس جرح الذات لأنفسنا، لم نستشرف المستقبل ولا نحن ماضويون ولا نعيش اللحظة بصورة صحيحة فمثلاً في زبيد كل الناس يشوهون مدينتهم والذي لم يشوه ببناء أو اعتداء على شارع وغيره هو ذلك الشخص الذي لا يمتلك الإمكانيات المادية لذلك وهم قلة فالسواد الأعظم مخالفون..

شبام حضرموت

يكثر الحديث دائماً عن مدينتي صنعاء القديمة وزبيد في حين يقل الكلام عن شقيقتهما الثالثة مدينة شبام حضرموت تلك المدينة التي دخلت قائمة التراث العالمي منذ وقت مبكر، فلماذا هذا التفاوت بين المدن الثلاث التي دخلت في قائمة عالمية واحدة يجيب المعمري: مدينة شبام حضرموت يقل الحديث عنها لأن الوضع فيها مستقر بل وجيد والفضل يعود إلى أهالي المدينة الذين أثبتوا أنهم على وعي كبير وحرص بأهمية الحفاظ على مدينتهم، وهنا ينبغي في هذا المقام أن نسجل كلمة شكر وعرفان ونبعث بتحية خاصة لأهالي شبام حضرموت لأنهم الأكثر تجاوباً والأكثر تعاوناً ووعياً في ما يتعلق بالحفاظ على مدينة شبام حضرموت الفاتنة والتي ستظل فاتنة وعظيمة بفضل تعاون ووعي ساكنيها وهذا ما يجعل أهالي شبام في المرتبة الأولى دون منافس في حب التاريخ والمعرفة والتعليم والوعي بعظمة التراث وهذا بتقدير من المشروع الألماني لتنمية المدن التاريخية)(GIZ ووفقاً لتقاريره فإن أهالي شبام حضرموت كانوا متعاونين أكثر من المتوقع..

وعبر عن أسفه الشديد من اللامبالاة وعدم الاهتمام التي يواجه بها التراث الحضاري والذي يبعث على الأسى أكثر أن الدولة التي ينبغي عليها الحفاظ على هذا التراث واستغلاله اقتصادياً باعتباره ثروة مربحة جداً هي نفسها بأجهزتها تمارس التخريب والعبث، أنشئت هيئات ومؤسسات مهمتها الحفاظ وأخرى الترويج واستغلال هذه الثروة وبالمقابل جهات حكومية كثيرة تمارس التخريب والعبث وغير ملتزمة بمسائل الحفاظ على التراث ومن بينها المدن التاريخية، وضرب مثال مبنى الأمن القومي في صنعاء القديمة وكذا المظاهر المسلحة الموجودة في صنعاء القديمة والتي لا يليق أبداً أن توجد في مثل هكذا مكان تاريخي وكم تعالت الأصوات بضرورة إخراج أي مظاهر مسلحة من صنعاء القديمة أهمها الأمن القومي وقوة الجيش الموجودة في قصر السلاح وحتى وزارة الدفاع وكل مظهر مسلح ويتم تحويل هذه الأماكن إلى متاحف أو أشياء من شأنها خدمة هذه المدينة وتوفير مناخات آمنة لقيام نشاط سياحي مزدهر.

أجهزة الدولة تتجاهل

وكشف الدكتور المعمري عن سبب هذه الاختلالات وعدم تكامل الأجهزة الحكومية فيما بينها من مسألة الحفاظ على التراث حيث أن مجلس الوزراء عندما يتعرض لهذه المسألة لا يناقشها باعتباره مجلس حكومة واحداً أو كياناً متكاملاً، كل وزارة تكمل الأخرى بل كل وزير لا ينظر لوزارته باعتبارها منظومة أو مفردة من مفردات الحكومة بل كانت كل وزارة دولة مستقلة بذاتها وهذه الثقافة استمرت لعصور طويلة وللتوضيح أكثر ضرب مثال وزارة الدفاع تنظر إلى قصر السلاح بأنه تابع لها وبالتالي يحق لها أن تعمل به ما تشاء ولا يهمها الجانب التراثي أو التاريخي الذي يعتبر من مهام وزارة الثقافة وليست مستعدة ربما للتنسيق معها في أي أعمال متعلقة بالترميم أو الصيانة وكذلك بقية المؤسسات والأجهزة الحكومية تنفذ مشاريع داخل المدن التاريخية ومن النادر جداً أن تقوم إحداها بالتنسيق مع الهيئة المعنية بالمدن التاريخية في وزارة الثقافة.

وواصل حديثه قائلاً : إن مشكلة التراث اليمني ينبغي أن توجد لها الحلول المناسبة وتوفير الإمكانيات التي يتطلبها الحفاظ مثلاً ما الذي يمنع الدولة أن تخصص ملياراً أو خمسة مليارات ريال من أجل إنقاذ زبيد أما صنعاء القديمة فلا تحتاج إلى مليون أو مليار ريال بل تحتاج إلى توعية الأجهزة والجهات الحكومية بأهمية هذه المدينة ودورهم في الحفاظ عليها وإيقاف العبث والتخريب بحقها ولكن ماذا نقول كثر الكلام حتى قانون المدن التاريخية هل يعقل هذا الإهمال والتجاهل من قبل المؤسسة التشريعية الأولى في البلد، فهذا القانون في أدراج مجلس النواب منذ) ١٣ (شهراً.. واختتم حديثه بالقول : (من لا يحترم تراثه وماضيه لا يحترم حاضره ومستقبله)..